



الشعر بين GILLETTE و L'ORÉAL

THE SYSTEM · 11

الشعر تفصيلٌ يتظاهر الناس بأنهم يفهمونه.
يسمّونه نظافةً، وجمالاً، وهويّةً، وثقافةً، وطقساً.
وفي الحقيقة، ليس سوى حدٍّ فاصل — بين ما تُظهره وما تُخفيه.
بعضهم يأتمن عليه الحلاقين، وبعضهم خبراء التجميل، وبعضهم آلاتٌ حديثة
تعيد بالاستقلالية والكمال. لكنّ الشعر يبقى هناك، عنيداً، تذكيراً بيولوجياً:
أنت حيوانٌ قبل أن تكون كائنًا اجتماعيًا.
ومع ذلك، فهو ليس عدوًّا. إنّه صديقٌ مُزعج، رفيقٌ سفرٍ يذكرك من أين أتيت.
له انتشارٌ يكاد يكون شعيريًا، ولو أنّ حدّته خريطتك الجينية، وقصّةٌ لا
تستطيع محوها. حتى من يعانون الثعلبة ليسوا محرومين منه — لقد
فقدوه فقط لزمي لا يستطيع أحدٌ تحديده.
لكن لكي تفهم الشعر، عليك أن تعود إلى الأصل — إلى حيث تعود دائمًا:
الإنسان البدائي.
أتخيّله هكذا، في مشهدٍ نوارٍ من عصور ما قبل التاريخ. شخصان خلف جدارٍ
من العشب يتحدّثان. يصل شخصٌ ثالث فلا يستطيع أن يميّز من الرجل
ومن المرأة. الوجه لا يكفي. الوجه يخدع.
فتقرّر المرأة أن تغيّر مصير هويّتها.
تذهب إلى النهر، تنظر إلى نفسها في الماء، فترى لحية.
لا تعجبها. لا تمثّلها. لا تميّزها.
تعثّر على حجرٍ حادٍّ وتبدأ بإزالة الشعر، شعرةً شعرة.
تكتشف أنّ نموّه من جديد بطيء — وهذا يمنحها أفضلية: لا تحتاج إلى
تكرار الطقس كلّ يوم. وتكتشف شيئًا أقوى من ذلك: الرجل ينظر إليها
بطريقةٍ مختلفة.

يصبح الاختلاف جاذبية.

يصبح الاختلاف لغة.

ومن هناك تولد ثقافة الشَّعر بأكملها: رمزيةً أولاً، ثم اجتماعية، ثم صحّية، ثم علمية، ثم أيديولوجية.

وصولاً إلى التطرّفات الحديثة: من يقولون إنّ الشَّعر يحميك من البكتيريا ويجب الإبقاء عليه؛ ومن يقولون إنّّه يجب أن يُزال لكي تُقبَل؛ ومن يقولون إنّّه يجب أن يُشدّب لكي تكون مرغوباً.

الحقيقة أبسط: الشَّعر يولد، وينمو، وينحني... وعند النقطة التي ينحني فيها، يموت.

لكنّ الجذر يبقى حيّاً، عنيّداً، مثل بعض الأفكار التي لا تستطيع اقتلاعها حتى بقوة الإرادة.

ثم هناك القاعدة الأخيرة، تلك التي لا يعرفها إلا الحكّاؤون:

لا تحوّل الشَّعر أبداً إلى شعار.

الفرق ضئيل — مجرد حرف علّة واحد.

لكنّه يغيّر كلّ شيء.

فرديناندو